ذكر ملك داود[1]

هو داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون[2] بن عمّي نوذب[3] بن رام بن حصرون بن فارض[4] بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق[5].

وكان قصيراً أزرق قليلَ الشعر[6].

فلمّا قُتل طالوت أتَى بنو إسرائيل داودَ، فأعطوه خزائن طالوت وملّكوه عليهم.

وقيل: إنّ داود ملك قبل أن يُقتل جالوت[7]؛ وسبب ملكه حينئذٍ، أنّ الله أوصى إلى اشمويل ليأمر طالوت بغزو مَدْيَن وقتْل مَنْ بها، فسار إليها وقتل مَنْ بها إلاّ ملكهم، فإنّه أخذه أسيراً، فأوحى الله إلى اشمويل: قلْ لطالوت آمرك بأمر فتركتَه! لأنزعنّ الملك منك ومن بنيك، ثُمّ لا يعود فيكم إلى يوم القيامة، وأمر اشمويل بتمليك داود، فملّكه وسار إلى جالوت فقتله، والله أعلم.

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٧٦، تفسير الطبري ٥/٣٦٦، عرائس المجالس ٢١٦، ابن وثيمة ٩١، الكسائي ٣٥٨، تاريخ اليعقوبي ١/٥١، البدء والتاريخ ٣/١٠٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، المعارف لابن قتيبة ٤٥، تاريخ مختصر الدول ٣٠، أخبار الزمان للمسعودي ٨٧، مروج الذهب ١/٥٦، مرآة الزمان ١/٤٧٥، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٩٠، زاد المسير ١/٣٠٠، و٢/٤٠٥، ٤٠٦، و٥/٣٧١ ـ ٣٧٤ و٧/١١٠ ـ ١٢٤، الدرّ المنثور ٥/٢٩٧ ـ ٣٠٨، نهاية الأرب للنويري ١٤/٤٥، البداية والنهاية ٢/٩، تفسير ابن كثير ١/٥٣٧ ـ ٥٣٩ و٤/٥٧٥ ـ ٥٧٩ و٦/٥٠ ـ ٥٢، العهد القديم ـ سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح ١٧/١٢ ـ ص ٤٥٤، تاريخ المنبجي ١/٧٥.

(٢) في الأصل «يحسون»، والتصحيح من الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٤٧٦ «نادب» بالدال المهملة.

(٤) في تاريخ الطبري «فارص» بالصاد المهملة.

(٥) راجع نسب داود عليه السلام في المصادر المذكورة بالحاشية (١).

(٦) أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٥ نسبه وصفته، فقال: أخبرنا الحسن بن محمد الإسفرايني، ثنا محمد بن محمد بن أحمد بن البراء، ثنا عبد المنعم بن ادريس، عن أبيه، عن وهب بن منبه قال: وكان نبي الله داود بن إيشا بن عويد بن باعر بن سلمون بن يحسون بن يارب بن رام بن حضرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وكان رجلاً قصيراً أزرق قليل الشعر، طاهر القلب، فقيهاً». وانظر: الطبري ١/٤٧٦.

(٧) الطبري ١/٤٧٨.

فلمّا ملك بني إسرائيل جعله الله نبيّاً وملكاً، وأنزل عليه الزَّبُور، وعلّمه صنعة الدروع، وهو أوّل مَنْ عملها، وألان له الحديد، وأمر الجبال والطير يسبّحون معه إذا سبّح، ولم يعطِ الله أحداً مثل صوته، كان إذا قرأ الزّبورَ تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وإنّها لَمُصِيخةٌ تسمع صوته.

وكان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم اللّيل ويصوم نصف الدّهر[1]. وكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف[2]، وكان يأكل من كسْب يده.

وفي ملكه مُسخ أهل أَيْلَة[3] قِردة؛ وسبب ذلك أنّهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيراً، فإذا كان غير يوم السبت لا يجيء إليهم منها شيء، فعملوا على جانب البحر حياضاً كبيرة وأجروا إليها الماء، فإذا كان آخر نهار يوم الجمعة فتحوا[4] الماء إلى الحياض فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها، فيأخذونها يوم الأحد، فنهاهم بعضُ أهلها فلم ينتهوا، فمسخهم الله قِردةً، وبقوا ثلاثة أيّام وهلكوا[5].

ذكر فتنته بزوجة أوريّا

ثمّ إنّ الله ابتلاه بزوجة أوريّا.

وكان سبب ذلك أنّه قد قسم زمانه ثلاثة أيّام، يوماً يقضي فيه بين النّاس، ويوماً يخلو فيه للعبادة، ويوماً يخلو فيه مع نسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان يحسد[6] فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: أي ربّي أرى الخير قد ذهب به آبائي، فأعطني مثلَ ما أعطيتهم! فأوحى الله إليه: إنّ آباءك ابتُلوا ببلاء فصبروا، ابتُلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتُلي إسحاق بذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بحزنه على يوسف. فقال: ربّ ابتَلِني بمثل ما ابتليتهم، وأعطني مثلَ ما أعطيتهم. فأوحى الله إليه: إنّك مبتلىً[7] فاحترِسْ[8].

---

(١) إلى هنا الخبر في تفسير الطبري ٢٣/٨٦.

(٢) الطبري ١/٤٧٩.

(٣) أَيْلَة: بالفتح. مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان ١/٢٩٢) وهي الآن ميناء العقبة الأردني.

(٤) في النسخة (ر): «يتحول» بدل «فتحوا».

(٥) الخبر مطوّلاً في عرائس المجالس ٢٢٦، ٢٢٧.

(٦) في النسخ: (ب) و(ت) و(ر): «يحد». والمثبت عن النسخة الأوربية. وفي تاريخ الطبري ١/٤٧٩ «وكان فيما يقرأ من الكتب يجد فيه فضل إبراهيم..»

وما في تاريخ الطبري يتفق مع ما في «المستدرك على الصحيحين» للحاكم ٢/٥٨٦.

(٧) في النسخة الأوربية «مبتل»، والتصحيح من «المستدرك» ومن طبعة صادر ١/٢٢٤.

(٨) الطبري ١/٤٧٩، ٤٨٠، والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق أحمد بن نصر، عن عمرو بن طلحة، عن أسباط، عن السُّدّي (٢/٥٨٦).

وقيل: كان سبب البليّة أنّه حدّث نفسه أنّه يطيق أن يقطع يوماً بغير مقارفة سوء، فلمّا كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على أن يقطع ذلك اليوم بغير سوء، وأغلق بابه وأقبل على العبادة، فإذا هو بحمامةٍ من ذهب، فيها كلّ لون حَسَن، قد وقعت بين يديه، فأهوى ليأخذها، فطارت غير بعيدٍ من غير أن ييأس من أخْذها، فما زال يتبعها وهي تفرّ منه، حتى أشرف على امرأةٍ تغتسل، فأعجبه حُسنُها، فلمّا رأت ظلّه في الأرض جلّلت نفسها بشعرها فاستترت به، فزاده ذلك رغبةً، فسأل عنها، فأُخبر أنّ زوجها بثغر كذا، فبعث إلى صاحب الثغر بأن يقدّم أوريّا بين يدي التابوت في الحرب، وكان كلّ مَنْ يتقدّم بين يديّ التابوت لا ينهزم، إمّا أن يظفر أو يُقْتَل، ففعل ذلك به فقُتل[1].

وقيل[2]: إنّ داود لما نظر إلى المرأة فأعجبته، سأل عن زوجها، فقيل: إنّه في جيش كذا، فكتب إلى صاحب الجيش أن يبعثه في سريّة إلى عدوّ كذا، ففعل ذلك، ففتح الله عليه، فكتب إلى داود، فأمر [داود] أن يُرسل[3] أيضاً إلى عدوّ كذا أشدّ منه، ففعل، فظفر، فأمر داود أن يُرسل إلى عدوّ ثالث، ففعل، فقُتل أوريّا في المرّة الثالثة، فلمّا قُتل تزوّج داود امرأته.

وهي أمّ سليمان في قول قتادة[4].

وقيل: إنّ خطيئة داود كانت، أنّه لما بلغه حُسْن امرأة أوريّا تمنّى[5] أن تكون له حلالاً، فاتّفق أنّ أوريّا سار إلى الجهاد، فقُتل، فلم يجد له من الهمّ ما وجده لغيره، فبينما داود في المحراب يوم عبادته، وقد أغلق الباب، إذ دخل عليه مَلَكان أرسلهما الله إليه من غير الباب، فراعه ذلك فقالا: **﴿لا تَخَفْ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقّ**[6]**، إنّ هَذَا أخي لَهُ تِسْعُ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَالَ: أكْفِلْنِيهَا وَعَزَّني في الخِطَابِ﴾**[7]، أي قهرني، وأخذ نعجتي[8]، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق، إنّي أردتُ أن أُكمل نعاجي مائة، فأخذتُ نعجته. فقال داود: إذاً لا ندعك

(١) الطبري ١/٤٨٢ و ٤٨٣ ومرآة الزمان ١/٤٨٠، والمستدرك ٢/٥٨٦، ٥٨٧.
(٢) الخبر في عرائس المجالس ٢٢٠.
(٣) في النسخة الأوربية «يرسله»، والمثبت من نسخة صادر ١/٢٢٥.
(٤) عرائس المجالس ٢٢٠، وانظر العهد القديم - سفر صموئيل الثاني - الإصحاح ١١/٢ - ص ٤٩٨.
(٥) في النسخة الأوربية «فتمنّى»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٢٥.
(٦) في النسخة (ر): «بالحق ولا تشطط» وهو يتفق مع ما في «المستدرك».
(٧) صَ/٢٢ - ٢٣.
(٨) قال الثعلبي: «وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيراً، وتورّي عن النساء وتكني عنها بألقابٍ كالظباء والنعاج والبقر، وهو كثير فاشٍ في أشعارهم». (عرائس المجالس ٢٢١).

وذاك، فقال الملك: ما أنت بقادر عليه. قال داود: فإن لم تردّ عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا، وأومأ إلى أنفه وجبهته. قال: يا داود أنتَ أحقّ أن يُضْرب منك هذا وهذا، حيث لك تسعٌ وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريّا إلّا امرأة واحدة، فلم تزل به حتى قُتل وتزوّجت امرأته. ثمّ غابا عنه[1].

فعرف ما ابتُلي به وما وقع فيه، فخرّ ساجداً أربعين يوماً، لا يرفع رأسه إلّا لحاجةٍ لا بدَّ منها، وأدام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطّى رأسه، ثمّ نادى: يا ربّ قَرِح الجبينُ، وَجَمَدَت العينُ، وداود لم يُرجَع إليه في خطيئته بشيء. فنودي: أجائع فتطعَم، أم مريضٌ فتُشفَى[2] أم مظلوم فتُنصر؟ قال: فنحِب نَحْبةً هاج ما كان نَبَت[3]، فعند ذلك قبل الله توبته[4]. وأوحى إليه: ارفع رأسك فقد غفرتُ لك. قال: يا ربّ كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لي؟ وأنتَ حَكَم عدْل لا تحيف في القضاء، إذا جاء أوريّا يوم القيامَة آخذاً رأسَه بيمينه، تشخب أوداجُه دماً قِبَلَ عرشك يقول: يا ربّ سلْ هذا فيمَ قتلني. فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دَعَوْتُه وأستوهِبك منه، فيهبك لي، فأهبه بذلك الجنّة. قال: يا ربّ الآن علمتُ أنّك قد غفرتَ لي.

قال: فما استطاعَ داود بعدها أن يملأ عينه من السماء حياءً من ربّه حتى قُبض. ونقش خطيئته في يده، فكان إذا رآها اضطربت يده، وكان يؤتى بالشراب في الإناء ليشربه، فكان يشرب نصفه أو ثُلُثَيْه فيذكر خطيئته، فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضُها من بعض، ثمّ يملأ الإناء من دموعه.

وكان يقال: إنّ دمعة داود تعدِل دموعِ الخلائق، وهو يجيء يوم القيامة وخطيئته مكتوبةٌ بكفّه فيقول: يا ربّ ذنبي قدِّمني، فيُقدَّم، فلا يأمن فيقول: يا ربّ أخّرني، فلا يأمن[5].

وأزالت الخطيئة طاعةَ داود عن بني إسرائيل، واستخفّوا بأمره، ووثب عليه ابن له يقال له إيشى، وأمّه ابنة طالوت، فدعا إلى نفسه، فكثر أتباعُه من أهل الزّيغ من بني إسرائيل، فلمّا تابَ الله على داود اجتمع إليه طائفة من النّاس، فحارب ابنه حتى هزمه،

---

(١) عرائس المجالس ٢٢١ وانظر، العهد القديم ـ سفر صموئيل الثاني ـ الإصحاح ١٢، وتفسير الطبري ٩٤/٢٣، ٩٥.

(٢) في النسخة الأوربية «فتسقى»، والتصويب من تاريخ الطبري وطبعة صادر.

(٣) في الأصل «بيت» وهو تحريف. والمثبت يتفق مع الطبري.

(٤) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٤٨٣/١.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٤٨٣/١، وتفسير الطبري ٩٦/٢٣ وانظر عرائس المجالس ٢٢٥.

ووجّه إليه بعض قوّاده وأمره بالرّفق بـه والتلطّف لعلّه يأسـره ولا يقتله، وطلبه القـائد وهـو منهزم فاضطّره إلى شجرة فقتله، فحزن عليه داود حزناً شديداً وتنكّر لذلك القائد(١).

ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود، عليه السلام

قيـل: أصاب النّاسَ في زمان داود طـاعونٌ جـارف، فخـرج بهم إلى مـوضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فلهذا قصده ليـدعو فيـه، فلمّا وقف موضعُ الصخرة دعا اللّهَ تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجـابَ له ورفـع الطاعـون، فاتّخذوا ذلك الموضعَ مسجداً، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشر سنة مضت من ملكه، وتـوفّي قبل أن يستتمّ بناءَه، وأوصى إلى سليمان بـإتمامـه وقتْل القـائـد الـذي قتـل أخـاه إيشى بن داود(٢).

فلمّـا توفّي داود ودَفَنـه سليمـان، تقـدّم بـإنفـاذ أمـره، فقتـل القـائـدَ، واستتمّ بنـاءَ المسجد، بناه بالرخام وزَخْرَفَه بالذّهب ورصّعه بالجواهر، وقوي على ذلك جميعه بـالجنّ والشياطين، فلمّا فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرّب قربانـاً، فتقبّله(٣) الله منه، وكـان ابتداؤه أوّلاً ببناء المدينة، فلمّا فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد، وقـد أكثر النّـاس في صفة البناء ممّا يُستبعد ولا حاجة إلى ذكره.

وقيل: إنّ سليمان هو الذي ابتدأ بعمارة المسجـد، وكان داود أراد أن يبنيـه فأوحى الله إليه: إنّ هذا بيت مقدّس، وإنّك قد صبغتَ يدك في الدماء فلستَ ببانيه، ولكنّ ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدّماء. فلمّا ملك سليمان بناه(٤).

ثمّ إنّ داود توفّي، وكان له جارية تغلق الأبواب كلّ ليلة وتأتيه بالمفـاتيحَ فيقـوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلةً، فرأت في الدار رجـلاً فقالتْ: مَنْ أدخلك الـدار؟ فقال: أنـا الذي أدخل على الملوك بغير إذن. فسمع داود قوله فقال: أنتَ مَلَكُ الموت؟ قال: نعم. قال: فهلّا أرسلتَ إليّ لأستعدّ للموت؟ قال: قد أرسلتُ إليك كثيـراً. قال: مَنْ كـان رسولـكَ؟ قال: أين أبوك وأخوك وجارُك ومعارفُك؟ قال: ماتـوا. قال: فهم كـانوا رسلي إليـك لأنّك تموتُ كما ماتوا! ثمّ قبضه(٥). فلمّا مات ورث سليمان ملْكه وعلمه ونبوّته(٦).

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٨٤، عرائس المجالس ٢٢٦.
(٢) الطبري ١/٤٨٤، ٤٨٥، مرآة الزمان ١/٤٨٩.
(٣) في النسخة (ر): «فقبله».
(٤) الطبري ١/٤٨٥.
(٥) الخبر في عرائس المجالس ٢٢٩، ٢٣٠، وقد أخرج الإمام أحمد نحوه في المسند ٢/٤١٩.
(٦) عرائس المجالس ٢٣٠.

وكان له تسعة عشر ولداً[1]، فورثه سليمان دونهم.

وكان عمر داود لما توفّي مائة سنة[2]، صحّ ذلك عن النبيّ، ﷺ، وكانت مـدّة ملكه أربعين سنة[3].

(١) عرائس المجالس ٢٣٠.

(٢) الطبري ١/٤٨٥ وفي تاريخ اليعقوبي ١/٥٦ (١٢٠ سنة).

(٣) الطبري ١/٤٨٥، عرائس المجالس ٢٣٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، تاريخ اليعقوبي ١/٥٦.